عفّ ان كنت غيو راً ما زنى قط غيور
وكمال الكلّ بالتقـــوى وقولُ الحق نور
ذي أصول الفضل عنهـــا حدّثت بعدُ البُدور

ومما قلته أيضاً

زمام أصول جميع الفضائل عَدْلٌ وفهـم وجود وباسُ
فمن هـذه ركبت غيرها فمن حازها فهو في الناس راس
كذا الرأس فيه الامور التي باءحساسها يُكشف الالتباس

﴿ فصل في غرائب أخلاق النفس ﴾

ينبغي للعاقل أن لا يحكم بما يبدو له من استرحام الباكي المتظلم وتشكّيه وشدة تلوّيه وتقلّبه وبكائه فقد وقفت من بعض من يفعل هذا على يقين أنه الظالم المعتدي المفرط الظلم ورأيت بعض المظلومين ساكن الكلام معدوم التشكي مظهراً لقلة المبالاة فيسبق الى نفس من لا يحقق النظر أنه ظالم وهـذا مكان ينبغي التثبت فيه ومغالبة ميل النفس جملةً وأن لا يميل المرء مع الصفة التي ذكرنا ولا عليها ولكن يقصد الإنصاف بما يوجبه الحق على السواء

من عجائب الاخلاق أن الغفلة مذمومـة وان استعمالهـا

محمود وانما ذلك لان من هو مطبوع على الغفلة يستعملها فى غير موضعها وفي حيث يجب التحفظ وهو مغيّب عن فهم الحقيقة فدخلت تحت الجهل فذمّت لذلك . وأما المتيقظ الطبع فانه لا يضع الغفلة الا فى موضعها الذى يذم فيه البحث والتقصي والتغافل فهماً للحقيقة واضراباً عن الطيش واستعمالاً للحلم وتسكينا للمكروه فلذلك حمدت حالة التغافل وذمت الغفلة وكذلك القول في اظهار الجزع وابطانه وفى اظهار الصبر وابطانه فان اظهار الجزع عند حلول المصائب مذموم لانه عجز مُظْهره عن ملك نفسه فأظهر أمراً لا فائدة فيه بل هو مذموم فى الشريعة وقاطع عما يلزم من الاعمال وعن التأهب لما يتوقع حلوله مما لعله أشنع من الامر الواقع الذي عنه يحدث الجزع فلما كان اظهار الجزع مذموماً كان اظهار ضده محموداً وهو اظهار الصبر لانه ملك للنفس واطّراح لما لا فائدة فيه وإقبال على مايعود وينتفع به في الحال وفى المستأنف وأما استبطان الصبر فمذموم لانه ضعف فى الحسّ وقسوة فى النفس وقلة رحمة وهذه أخلاق سوء لا تكون الا فى أهل الشر وخُبث الطبيعة وفي النفوس السبعيّة الردية فلما كان

ما ذكرنا يقبح كان ضده محموداً وهو استبطان الجزع لما في ذلك من الرحمة والشفقة والفهم بقدر الرزية فصح بهذا أن الاعتدال هو أن يكون المرء جزوع النفس صبور الجسد بمعنى أنه لا يظهر في وجهه ولا في جوارحه شيء من دلائل الجزع . ولو علم ذو الرأي الفاسد ما استضرّ به من فساد تدبيره في السالف لأنجح بتركه استعماله فيما يستأنف وبالله التوفيق

﴿ فصل في تطلّع النفس الى مايستر عنها من كلام مسموع أو شيء مرئي أو الى المدح وبقاء الذكر ﴾

هذان أمران لا يكاد يسلم منهما أحدٌ إلاّ ساقط الهمة جداً أو من راض نفسه الرياضة التامة وقمع قوة نفسه الغضبية قمعاً كاملاً أو عانى مداواة شره النفس الى سماع كلام تُستّر به عنها أو رؤية شيء اكتتم به دونها أن يفكّر فيما غاب عنها من هذا النوع في غير موضعه الذي هو فيه بل في أقطار الارض المتباينة فإن اهتم بكل ذلك فهو مجنون تام الجنون عديم العقل البتة . وان لم يهتم لذلك فهل هذا الذي اختفي به عنه الا كسائر ما غاب عنه منه سواء بسواء ولا فرق . ثم انزد احتجاجاً على هواه فليقل بلسان عقله لنفسه يانفس